المحاضرة: السابعة: التعليميات وتعليميات اللغات .

1-نشأة تعليميات اللغات:

ارتبطت نشأة تعليميات اللغات بنشأة اللسانيات التطبيقية؛ إذ يؤرخ أغلب العلماء لظهور اللّسانيات التطبيقية في فترة الحرب العالمية الثانية، عندما وُظفت اللّسانيات في وضع طريقة لتعليم اللّغات لأجنبية لمنتسبي الجيش الأمريكي سنة 1942، سميت بطريقة المخبر أو طريقة الجيش من طرف فريق ترأسه "ليونارد بلومفيلد" (Bloomfield).

وبنجاح هذه الطريقة في استقطاب إهتمام المتعلّمين من أفراد الجيش والديبلوماسيين والمترجمين تأكّدت لكثير من العلماء الإسهامات الكبيرة التي يمكن أن تقدّمها اللّسانيات لخدمة ميدان تعليم اللّغة الأجنبية، فسار الكثير من اللسانيين في هذا الإتجاه وانشغلوا بالبحث عن طريقة لتعليم اللّغة الإنجليزية بوصفها لغة أجنبية بعد أن برزت الولايات المتحدة قوة عالمية، ومن بين هؤلاء نذكر "تشارلز فرايز" (Fries) الذي كان مديرا لأوّل معهد لتعليم الإنجليزية بوصفها لغة أجنبية، أنشأته جامعة "متشيجان" سنة 1939 و"روبرت لادو" (lado).

قدّم هذا المعهد عدة خدمات وأبحاث لتعليم اللّغة الإنجليزية من منظور لساني، أسهمت في وضع كتب مدرسية وتقنيات تعليمية تعتمد على أسس بنوية؛ فاهتمت بالنطق والتدريب الشفوي المكثّف، وباستخراج الأبنية اللسانية الرئيسة التي يجب تعليمها، وبالتحليل التقابلي للغات، إضافة إلى اقتراحه لمصطلح اللّسانيات التطبيقية للدلالة على توظيف اللّسانيات في تعليم اللّغات الأجنبية سنة 1946.

غير أن هذا المصطلح لم يكن الوحيد الذي وُضع للتّعبير عن توظيف اللّسانيات في مجال تعليم اللّغات، إذ أُقترحت عدة مصطلحات أخرى كان أشهرها وأهمها مصطلح تعليميات اللّغات (Didactique des langues)، الذي انفرد بهذا المفهوم فيما بعد .

وغير بعيد عن الأجواء السياسية التي أفرزت نشأة اللّسانيات التطبيقية في مجال تعليم اللّغات، بدأ الإهتمام بتوظيف المعرفة اللسانية في مجال آخر هو الترجمة بالإستعانة بجهاز الحاسوب، وذلك بعد أن دفعت الحرب الباردة التي دارت بين أمريكا وروسيا إلى البحث عن سبل ووسائل لتسريع ترجمة العلوم والبرقيات الإستخباراتية، فنشأت الترجمة الآلية، مؤكّدة أهمية اللّسانيات في حل المشاكل اللسانية، وموسّعة بذلك حقل اللّسانيات التطبيقية الذي لم يعد متضمّنا لمجال تعليم اللّغات فقط.

ومن مجالي تعليم اللّغات والترجمة انتقل توظيف اللّسانيات إلى مجال الاضطرابات اللغوية، فتأسّست اللّسانيات العصبية(Neurolinguistique)[1] ثم علم أمراض اللّغة (Pathologie du language)[2].

ازدهرت اللّسانيات التطبيقية بشكل سريع نتيجة لتأثير عدة عوامل أفرزتها الحياة الإقتصادية والاجتماعية والسياسية والتكنولوجية للدول المتقدّمة يوضّحها "دانيال كوست" (Coste) في قوله: «أحسن فترات تطور (اللّسانيات التطبيقية) ارتبطت بالتقاء: المطالب الاجتماعية والإدارة المؤسساتية، والتطور التكنولوجي والتحديات العالمية، مع توفّر نماذج وأدوات لسانية جديدة».

نستخلص مما سبق أن مصطلح تعليميات اللغات كان مرادفا لمصطلح اللسانيات التطبيقية في أول مراحل نشأتها، ولكنها استقلت بنفسها عندما تعدّدت مجالات اللسانيات التطبيقية، كما أنها كانت دافعا قويا لنشأة التعليميات (التخصص العام).

---

[1] –تهتم اللّسانيات العصبية بدراسة الإرتباطات بين اللّغة والجهاز العصبي البشري.

[2] – علم أمراض اللّغة هو العلم الذي يختص بدراسة وتقييم اضطرابات التواصل البشري واقتراح اختبارات لغوية لمعالجتها.

2-تعريف تعليميات اللّغات:

تعرّف تعليميات اللّغات على أنها: فرع من فروع التعليميات، يدرس **عملية تعليم اللّغات والثقافات دراسة علمية تراعي خصوصية المعرفة اللغوية.** ومن أجل ذلك يَعمد هذا العلم النظري والتطبيقي إلى إقامة صرحه من نظريات ونتائج معارف متعدّدة، ليطبّقها في وضع مقاربات وطرائق يُخضعها للتجريب والفحص، فهو علم يتمتّع بالحركية الذاتية؛ فتنتظم أبحاثه جيئة وذهابا من **النظري** الخالص إلى **التطبيقي** الصِّرف ثم إلى **التجريب** الميداني، رجوعا إلى استخلاص المبادئ النظرية المتغيّرة بتغير ظروف عمليتي تعليم اللّغات وتعلّمها.

تعد اللّسانيات والتعليميات من أبرز المصادر المعرفية التي تستند إليها تعليميات اللّغات من أجل البحث عن أسسها النظرية والتطبيقية. وبصورة أخرى يمكن التعبير عن أهم مسوّغ للجمع بين هذه العلوم الثلاثة في المخطط الآتي:

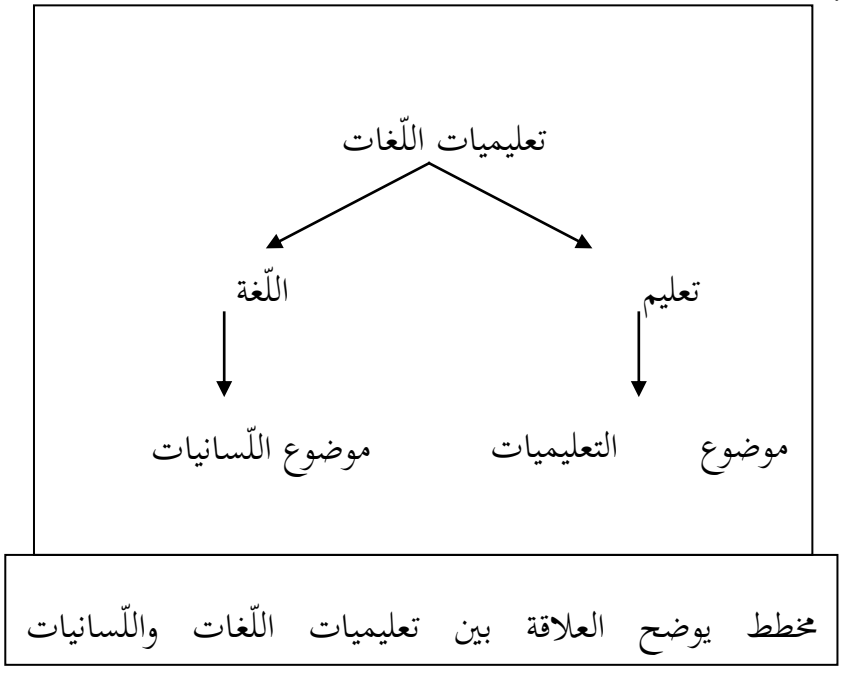

مخطط يوضح العلاقة بين تعليميات اللّغات واللّسانيات

3- تعليميات اللّغات واللّسانيات: بالعودة إلى نشأة تعليميات اللّغات يتبدى لنا بوضوح أن اللّسانيات قد شكلت بعدا معرفيا مهما استندت عليه خلال بحثها عن وضع علمي ضمن العلوم

المنشغلة بالتعليم، فغدت بذلك علما يحاول نقل تعليم اللّغات من الفنية إلى العلمية.

هذه الخاصية(العلمية) فرضها المناخ العلمي الذي كان سائدا في القرن العشرين، فارتباطها الوثيق باللّسانيات قد دعّم وجهتها هذه ضمن العلوم الإنسانية، بل أعطاها قوة أكبر لإقامة صرحها كعلم مستقل، متميز عن البيداغوجيا التي ارتبطت بمجال التعليم.

وهكذا أصبحت تعليميات اللّغات ملزمة بتتبّع تطوّر اللّسانيات مادامت تأملا وتفكيرا في طبيعة اللّغة، وذلك لأن اللّسانيات تمدّها بمادة علمية دقيقة (أو تسعى إلى الدقّة على الأقل)، وكذا بمعطيات تتعلّق بالمنهج ومبادئ التحليل، لأنّها «تقوم بشكل عام على مبادئ مثل الاقتصاد، وتعميم النتائج والمقارنة، التي تهدف إلى ضبط الكلي وتحديد الخصوصي، والاستدلال الذي يلغي الانطباع، ومن ثمّة فإنه بالإمكان استثمار هذه المبادئ في اختيار المادة اللسانية وطرائق عرضها»، وفق منهجية علمية دقيقة، تبتغيها تعليميات اللّغات.

وإضافة إلى ذلك فإن اللّسانيات لم تقدّم معطيات ومادة علمية ومبادئ تحليل فقط، بل استطاعت أن تفرض نمطا فكريا وجّه بحوث تعليم اللّغات نحو رفض الانطباعية والآراء الذاتية التي سيّرتها فيما سبق، وإحلال التصوّر اللساني المنفتح على عدد من المعارف محلها.

يقول "شارل بوتون" في هذا الصّدد: «... أدخل تجديد التعليم العالي في برامج إعداد المعلمين تفكيرا لسانيا جعلهم شيئا فشيئا منفتحين على التأويل الصحيح للمشاكل التي ستعترضهم».

لقد شكّلت اللّسانيات دفعا قويا لنشأة تعليميات اللّغات، ولكن يبقى الأهم من ذلك أنها زودتها بعنصر تميزها، وتمثّل أساس هذا العنصر في اتصافها بالعلمية، فإذا كانت اللّسانيات هي الدراسة العلمية للسان، فإن تعليميات اللّغات «مجال يبحث عن العلمية»، إن لم تكن دراسة علمية لعملية تعليم اللّغات.